وَقَدْ أُغْمِيَ عَلَيْهَا . وَرَأَى فِي الْوَسَطِ صُفُوفاً مِنَ الْجُنُودِ عَلَى ظُهُورِ خُيُولِهِمْ ، وَفِي رُكْنٍ آخَرَ رَأَى الرَّجُلَ مُمْسِكاً حِمَارَهُ ، وَبِجِوَارِهِ الْمَرْأَةَ الْعَجُوزَ . وَفِي الطَّرَفِ الآخَرِ رَأَى الْبَبَّغَاءَ جَالِساً بِجِوَارِ كُومَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْفَطَائِرِ مَرْصُوصَةٍ بِنِظَامٍ تَامٍّ .

نَظَرَ الْفَأْرُ إِلَيْهِمْ فِي دَهَشٍ وَاسْتِغْرَابٍ ثُمَّ صَاحَ فِيهِمْ : « مَا لَكُمْ هٰكَذَا صَامِتِينَ سَاكِنِينَ لَا تَعْمَلُونَ شَيْئاً ؟ إِنَّ هٰذَا لَعَارٌ كَبِيرٌ !! » قَالَ ذٰلِكَ ، وَأَخَذَ يَقْرِضُ بِأَسْنَانِهِ جَوْفَ الْقِطِّ حَتَّى اسْتَطَاعَ أَنْ يَفْتَحَ ثَقْباً فِي أَحَدِ جَانِبَيْهِ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى زُمَلَائِهِ وَقَالَ : « تَفَضَّلُوا !! »

فَخَرَجَ الْأَمِيرُ وَالْأَمِيرَةُ وَمِنْ وَرَائِهِمَا الْجُنْدُ صَفّاً صَفّاً .

وَخَرَجَ مِنْ بَعْدِهِمُ الرَّجُلُ يَقُودُ حِمَارَهُ .

وَمِنْ وَرَائِهِ الْمَرْأَةُ الْعَجُوزُ

وَمِنْ وَرَائِهَا الْبَبَّغَاءُ يَحْمِلُ كُومَةَ الْفَطَائِرِ .

وَأَخِيراً خَرَجَ الْفَأْرُ يَزْهُو عُجْباً بِنَفْسِهِ وَفَخَاراً بِأَسْنَانِهِ . أَمَّا الْقِطُّ الْجَبَّارُ فَقَدِ انْزَوَى يُضَمِّدُ جُرُوحَهُ ، وَيُصْلِحُ الْفَتْقَ الَّذِي أَصَابَ فَرْوَتَهُ ، وَيَنْظُرُ بِحَسْرَةٍ شَدِيدَةٍ إِلَى طَعَامِهِ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ أَمَامَ عَيْنَيْهِ .

النباتات الصحراوية

ذَكَرْنَا لَكُمْ فِي عَدَدٍ سَابِقٍ شَيْئاً عَنْ تَلَوُّنِ الْحَيَوَانَاتِ وَقُلْنَا إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَعَدَّ كُلاًّ مِنْهَا بِسِلَاحٍ يَسْتَطِيعُ بِهِ أَنْ يَدْرَأَ عَنْ نَفْسِهِ الْخَطَرَ وَأَنْ يُعِينَهُ عَلَى الْحُصُولِ عَلَى قُوتِهِ . وَمِثْلُ هٰذَا تَمَامًا نَرَاهُ فِي النَّبَاتَاتِ .

وَكَمَا أَنَّ السِّلَاحَ يَخْتَلِفُ فِي الْحَيَوَانَاتِ بِاخْتِلَافِ بِيئَتِهَا ، كَذٰلِكَ سِلَاحُ النَّبَاتَاتِ يَخْتَلِفُ هُوَ الْآخَرُ بِاخْتِلَافِ بِيئَتِهِ . وَبِيئَةُ النَّبَاتِ هِيَ كُلُّ مَا يُحِيطُ بِهِ مِنَ الظُّرُوفِ فِي الْوَسَطِ الَّذِي يَنْبُتُ فِيهِ . وَتَشْمَلُ هٰذِهِ الظُّرُوفُ :—

[ا] طَبِيعَةَ الْجَوِّ مِنْ حَرَارَةٍ وَضَوْءٍ وَرِيَاحٍ وَرُطُوبَةٍ وَجَفَافٍ وَصَقِيعٍ وَغَيْرِ ذٰلِكَ

[ب] طَبِيعَةَ التُّرْبَةِ الَّتِي يَنْمُو فِيهَا النَّبَاتُ مِنْ حَيْثُ احْتِوَاؤُهَا عَلَى بَعْضِ الْمَوَادِّ الْغِذَائِيَّةِ وَخُلُوُّهَا مِنَ الْبَعْضِ الْآخَرِ

[ح] الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةَ الْأُخْرَى — مِنْ حَيَوَانٍ

وَنَبَاتٍ — الَّتِي تَعِيشُ فِي نَفْسِ الْبِيئَةِ أَوْ عَلَيْهَا.

وَسَيَكُونُ حَدِيثُنَا هٰذِهِ الْمَرَّةَ قَاصِراً عَلَى أَنْوَاعِ النَّبَاتَاتِ الَّتِي تَنْبُتُ فِي الْبِيئَةِ الصَّحْرَاوِيَّةِ.

وَالصَّحْرَاءُ كَمَا تَعْلَمُونَ مَكَانٌ شَدِيدُ الْحَرَارَةِ نَادِرُ الْمِيَاهِ، وَلِذٰلِكَ كَانَ مِنَ الضَّرُورِيِّ تَهْيِئَةُ السَّبِيلِ لِلنَّبَاتِ لِلْحُصُولِ عَلَى الْمَاءِ اللَّازِمِ لَهُ وَعَلَى الِاحْتِفَاظِ بِهِ بَعْدَ ذٰلِكَ وَالِاقْتِصَادِ الشَّدِيدِ فِي اسْتِهْلَاكِ مَا يَخْتَزِنُهُ مِنْهُ. أَمَّا الْحُصُولُ عَلَى الْمَاءِ فَالنَّبَاتَاتُ الصَّحْرَاوِيَّةُ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَمْتَصَّ الرُّطُوبَةَ مِنَ الْجَوِّ وَأَنْ تَمْتَدَّ جُذُورُهَا وَتَتَعَمَّقَ فِي التُّرْبَةِ الرَّمْلِيَّةِ حَتَّى تَصِلَ إِلَى مُسْتَوَى الْمَاءِ. وَمِنْ أَغْرَبِ خَصَائِصِ هٰذِهِ الْجُذُورِ أَنَّهَا تَتَّجِهُ دَائِماً إِلَى النَّاحِيَةِ الَّتِي تَضْمَنُ فِيهَا الْحُصُولَ عَلَى الْمَاءِ. فَإِذَا اجْتَمَعَ أَكْثَرُ مِنْ نَبَاتٍ وَاحِدٍ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، اسْتَطَاعَ كُلُّ نَبَاتٍ أَنْ يُوَجِّهَ جُذُورَهُ إِلَى جِهَةٍ مُعَيَّنَةٍ يَمْتَصُّ مِنْهَا الْمَاءَ مِنْ دُونِ أَنْ يُزَاحِمَ النَّبَاتَ الْآخَرَ.

وَالْمَاءُ فِي الصَّحْرَاءِ نَادِرٌ كَمَا قَدَّمْنَا، وَلِذٰلِكَ فَالنَّبَاتُ يَنْتَهِزُ فُرْصَةَ سُقُوطِ الْأَمْطَارِ وَيَخْزُنُ فِي خَلَايَاهُ أَكْبَرَ مَا يَسْتَطِيعُ الْحُصُولَ عَلَيْهِ لِيَرْتَوِيَ بِهِ حِينَ يَنْعَدِمُ الْمَاءُ مِنَ التُّرْبَةِ.

بعض أنواع الكاكتس

وَتَخْتَزِنُ بَعْضُ النَّبَاتَاتِ الْمَاءَ فِي أَوْرَاقِهَا. وَلِذٰلِكَ تَرَاهَا مُتَضَخِّمَةً غَلِيظَةً، كَمَا فِي الصُّبَّارِ وَبَعْضِ أَنْوَاعِ (الْكَاكْتَسِ). وَيَخْتَزِنُ الْبَعْضُ الْآخَرُ الْمَاءَ فِي السُّوقِ، كَمَا فِي التِّينِ الشَّوْكِيِّ.

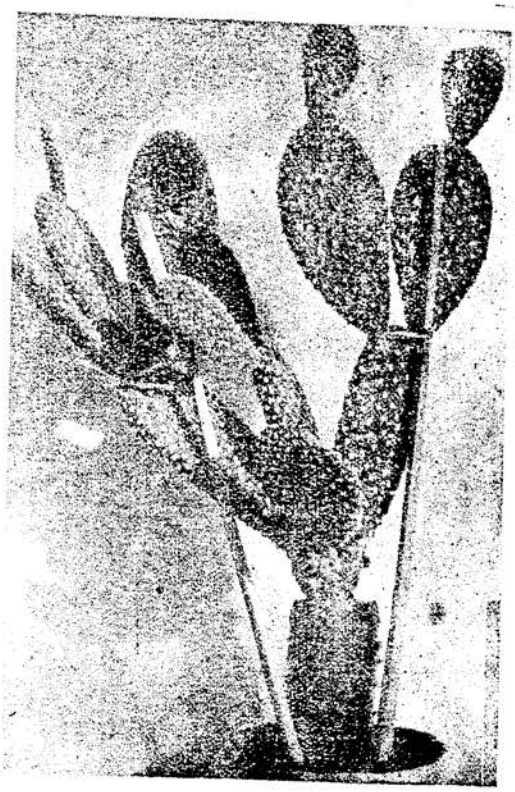

التين الشوكى

وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ سُوقَ هٰذَا النَّبَاتِ هِيَ مَا تُعْرَفُ عَادَةً «بِأَلْوَاحِ التِّينِ» ، أَمَّا أَوْرَاقُهُ فَهِيَ الْأَشْوَاكُ وَهُنَاكَ أَيْضاً مِنْ أَنْوَاعِ النَّبَاتَاتِ الصَّحْرَاوِيَّةِ مَا يَخْتَزِنُ الْمَاءَ فِي جُذُورِهِ .

عَلَى أَنَّ مُجَرَّدَ خَزْنِ الْمَاءِ فِي مِثْلِ جَوِّ الصَّحْرَاءِ لَا يَكْفِي لِلِاحْتِفَاظِ بِهِ ، لِأَنَّ حَرَارَةَ الشَّمْسِ الْمُحْرِقَةَ تَعْمَلُ عَلَى تَبْخِيرِهِ بِسُرْعَةٍ . وَلِذٰلِكَ تَتَسَلَّحُ نَبَاتَاتُ الصَّحْرَاءِ بِمَا يَقِيهَا ذٰلِكَ الْخَطَرَ ، فَتَنْضَمِرُ جَمِيعُ الْأَجْزَاءِ غَيْرِ الْمُعَدَّةِ لِلْخَزْنِ ، فَتَقِلُّ بِذٰلِكَ مِسَاحَةُ السَّطْحِ الْمُعَرَّضِ لِلْجَوِّ . فَإِنْ كَانَ الْخَزْنُ فِي الْأَوْرَاقِ كَانَتِ السُّوقُ قَصِيرَةً مُلْتَفَّةَ الْأَوْرَاقِ وَإِنْ كَانَ الْخَزْنُ فِي السُّوقِ تَحَوَّلَتِ الْأَوْرَاقُ إِلَى أَشْوَاكٍ أَوْ أَشْكَالٍ إِبْرِيَّةٍ .

وَفِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ تُغَطَّى مُسْتَوْدَعَاتُ الْخَزْنِ بِمَادَّةٍ خَاصَّةٍ ، كَالشَّمْعِ أَوِ الشَّعْرِ ، تَعُوقُ عَمَلِيَّةَ التَّبَخُّرِ . وَقَدْ يَحْتَوِي النَّبَاتُ عَلَى مَادَّةٍ كِيمْيَائِيَّةٍ مُخَاطِيَّةٍ يَصْعُبُ عَلَى الْمَاءِ الْخَلَاصُ مِنْهَا .

وَلِنَبَاتَاتِ الصَّحْرَاءِ طَعْمٌ مُرٌّ تَنْفُرُ مِنْهُ الْحَيَوَانَاتُ الَّتِي تُحَاوِلُ أَكْلَهُ . وَبَعْضُهُ سَامٌّ قَتَّالٌ يَقْضِي عَلَى كُلِّ مَنْ يُحَاوِلُ أَنْ يَتَغَذَّى بِهِ ، كَمَا أَنَّ الْأَشْوَاكَ الرَّفِيعَةَ الْحَادَّةَ الْمُنْتَشِرَةَ عَلَى سَطْحِهِ تُعِدُّ فِي ذَاتِهَا سِلَاحاً قَوِيّاً شَدِيدَ الْفَتْكِ .

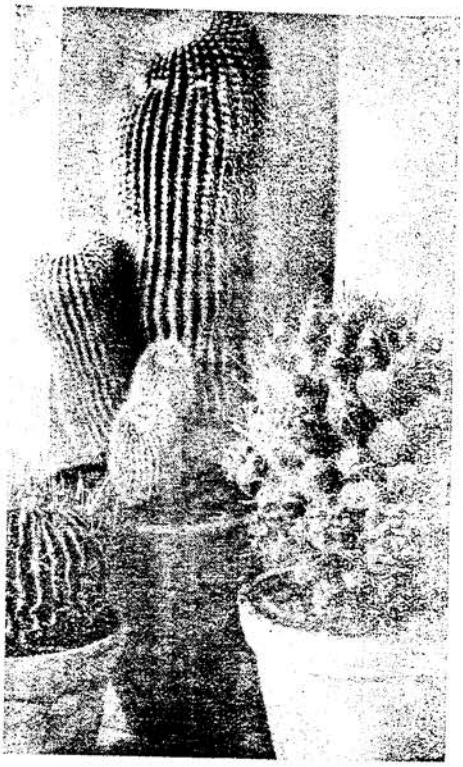

بعض أنواع الكاكتس